

أبو عبد الله المقرئ (الهدا) والتحقيق في نسبة كتاب: «بلوغ الأرب في لطائف العتاب» إليه.

أ. امحمد لقدي
باحث في التراث الإسلامي

المتقربون؛ حفاظاً على هذا الإرث الغالي
الذي أحاطت به أسباب الضياع بشتى
أنواعها.

كما أنّ علم تحقيق النصوص من
العلوم التي تحتاج جهوداً متعددة يحسن
بالباحث الذي يخوضها أن يكون واسع
الصدر صبوراً، إذ إن جلب المعلومات
وتوثيقها، وردها إلى أصولها، يتطلب
جهداً ووقتاً لا يستهان بهما.
ومن النصوص التي لم يصلنا أكثرها،

الحمد لله، والصلاة والسلام على
رسول الله وعلى آله وصحبه ومن
والاه؛ وبعد، فإنّ الخوض في بحور
التحقيق العلمي حفاظاً على التراث،
وتمتيناً لجذور الماضي وربطها بالحاضر،
والنظر في النصوص التراثية التي ورثناها
عن علمائنا-وأضحت أسيرة التآكل
والضياع تارة، والتكتم وصعوبة الحصول
عليها تارة أخرى-من أعظم الأعمال
التي يقوم بها الدارسون، ويتقرب بها

وإن كتابا كثرت نسخه في خزائن بلاد العرب والعجم، منسوباً إلى عالم همّام وعلامة إمام، له على بلاد المغرب عموماً والجزائر وتلمسان بخاصة كبير فضل؛ لجدير بالوقوف عليه تحقيقاً ودراسة. وقد عنّ لي أن أخوض غمار البحث في التعريف بالمقري الجد، وتحقيق نسبة كتاب «بلوغ الآراب» إليه.

ترجمة الإمام أبي عبد الله المقري: اسمه ولقبه وكنيته:

هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي. وكنيته أبو عبد الله. ويعرف بالمقري-بفتح الميم وتشديد القاف-نسبة إلى بلدة -مقرة-المعروفة الآن بولاية المسيلة من القطر الجزائري كما أشار إلى ذلك علامة الجزائر البشير الإبراهيمي، حينما تكلم في إحدى مقالاته عن منطقة الزاب الإفريقي.

ولعله في عداد التراث الضائع، الذي نأمل اكتشافه ونشره لتعميم النفع به، تلك التي تركها لنا أبو عبد الله محمد المقري، جد صاحب «نفع الطيب»، وعلى رأسها كتابه العظيم «القواعد»، فبه سما إلى صعيد تقعيد القواعد الفقهية، التي تعرف بالأصول القرية، وكان تأليفه ذاك من أهم ما ألف في القواعد والضوابط، وهو فن لم يبرز في مجاله إلا القليل من الأعلام في كل مذهب؛ فكان بذلك جديراً بأن يطلق عليه «إمام القواعد».

وكتاب آخر عنوانه: «بلوغ الآراب في لطائف العتاب» نسب إلى المقري أيضاً، مع تحريف في الاسم في بعض نسخ الكتاب المتاحة، بيد أن كثيراً من أهل التراجم لم يذكره له، بل ولا حتى من تتلمذ عليه أو عاصره أو جاء بعده كحفيده أبي العباس أحمد صاحب «نفع الطيب».

مولده ونشأته:

ولد أبو عبد الله محمد المقرئ بتلمسان، في تاريخ لم يضبطه لا هو عندما ترجم لنفسه في فهرسه المسمى: «نظم الآلي في سلوك الأمالي»، ولا حفيده أبو العباس في «نفحه» لما ترجم لجدّه. ولعل الجد أثر أن لا يصرح بتاريخ ولادته؛ لأنه كان يرى أنه ليس من المروءة الإخبار بالسن. وكل ما ذكره عن ذلك كان بقوله: «كان مولدي بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان، وقد وقفت على تاريخ ذلك، ولكني رأيت الصفح عنه...».

وقد قدر الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور أن مولد المقرئ كان في حدود سنة 710 هـ.

شيوخه وتلاميذه:

كان المقرئ من العلماء الذين يعكفون على العلم قراءة وإقراءً، وقد

أفادنا الونشريسي أنه بتلمسان «نشأ وقرأ وأقرأ»

وبعد أن ارتحل إلى فاس مع أبي عنان، بنى له المدرسة المتوكلية التي كان من المع مدرسيها وأشهرهم، وما كان يقرأه بين يدي هذا السلطان وبحضرة أكابر فقهاء فاس، كتاب: «صحيح مسلم».

وفي الأندلس ألقى على طلبتها الدروس، وعقد المجالس العلمية، وذاكر الأعلام بجامع غرناطة وبمدرستها النصرية، وكان من جملة هؤلاء الأعلام: أبو سعيد بن لب، فقيه غرناطة ومفتيها (ت 782 هـ)، وذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب، أشهر رجال الأندلس في النصف الثاني من القرن الثامن، وناظم وكاتب ومؤرخ، (ت 776 هـ).

وشيوخ المقرئ كثر، فقد عد منهم حفيده أكثر من ثلاثين شيخاً من أفاذ العصر، غير أن مترجمنا نوه بشيخين جليلين أخذ عنهما بالأندلس، حيث

وقد وصفه حفيده بقوله: «..صاحب التصانيف الشهيرة التي اقتادت المحاسن بزمام».

وهذه الجملة الطيبة من المؤلفات فيها كتابان، ذهب الشيخ الفاضل ابن عاشور في كتابه: «أعلام الفكر الإسلامي» إلى القول بأنهما من أعلى تصانيفه، وهما: كتاب في الفقه الموسوم بـ: «القواعد الفقهية»، وكتاب في التصوف، وقد أسماه بـ: «الحقائق والرفائق».

فتضمن الكتاب الأول القواعد الفقهية، التي هي الأصول القرية لأمّهات مسائل الخلاف الفقهي، وقد بلغ عددها ألفاً ومائتين.

قال أبو عبد الله المقرّي في مقدمته: «رجوت أن يقتصر عليها من سمت به الهمة إلى طلب المباني، وقصرت به أسباب الأصول عن الوصول إلى مكان الفصوص من النصوص والمعاني، فلذلك

نعت أحدهما بعالم الدنيا، والآخر بنادرتها.

فالعالم هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد العبدري الآبلي التلمساني من أصل أندلسي، وهو من أساتذة ابن خلدون، وتوفي بفاس سنة 757 هـ. والنادرة هو أبو عبد الله محمد بن شاطر الجمحي المراكشي (كان حياً سنة 757 هـ)، وهو من المتصوفة الذين تأثر بهم المقرّي في هذا المجال، وقد روى عنه بعض الحكم الصوفية.

ارتحل المقرّي وشرّق وحج ولقي جلّة، وممن لقي بمصر: أثير الدين أبا حيان الغرناطي، وشمس الدين الأصبهاني. وفي الشام لقي ابن قيم الجوزية، وصدر الدين الغماري.

تأليفه:

أسهم المقرّي الجد في إثراء المكتبة الإسلامية بتصانيف كثيرة ومتنوعة،

وأما الكتاب الآخر «الحقائق والرقائق»، فقد قال في مقدمته: «هذا كتاب شفعت فيه الحقائق بالرقائق، ومزجت فيه المعنى الفائق باللفظ الرائق، فهو زينة التذكير وخلاصة المعرفة وصفوة العلم ونقاوة العمل، فاحتفظ بما يوحيه إليك فهو الدليل، وعلى الله قصد السبيل».

ويقول الباحث المغربي عبد القادر زمامة عن هذا الكتاب إن: «المقري عبر فيه عن خواطره وارتساماته وما ينقدح في ذهنه من تعليقات على الحوادث التي مرت به أو المجالس التي حضرها أو الأخبار التي تلقاها من أفواه الرجال. غير أن المؤلف جعل بعض تعليقاته وخواطره تحت اسم الحقائق، وجعل أخرى تحت اسم الرقائق، وهدفه هو النظرة الصوفية إلى الحياة، وتفسير ما فيها تفسيراً صوفياً.

شفعت كل قاعدة منها بما يشاكلها من المسائل، وشفحت في جمهورها عما يحصلها من الدلائل».

وقد برزت في هذا الكتاب نزعة صاحبه في الغوص في بحث مسائل مقاصد الشريعة الإسلامية واكتناه أسرار الأحكام الفقهية، وظهرت فيه القدرة على ربط الفروع بقواعدها الشرعية، وعلى بيان ما نشأ من الخلاف المذهبي على الاختلاف في أصل هذه القواعد. ولم يخل الكتاب من الآراء الفقهية الاجتهادية، كما أن المقري ناقش بعض المؤلفين لمقاصد الشريعة وقواعدها الفقهية وفروق أحكامها، كالقرافي شهاب الدين في «فروقه» وغيره.

وقد أشار أبو العباس الونشريسي إلى أهمية هذا الكتاب، واستفادة العلماء منه، فقال: «إنه كتاب غزير العلم، كثير الفوائد، لم يسبق إلى مثله..».

ملف العدد

وبقية مؤلفات المقرئ هي:

- كتاب يشتمل على أكثر من مائة مسألة، قال عنها لسان الدين ابن الخطيب: «ضمنها كل أصيل من الرأي والمباحثة».
- كتاب: «عمل من طب لمن حب»، ويدور محوره على الأحكام الشرعية.
- كتاب: «إقامة المريد»، وموضوعه التصوف.
- كتاب: «رحلة المتبتل»، في التصوف أيضا.
- كتاب: «التحف والطرف»، قال عنه الحفيد في نفحه: «قد وقفت على بعضه فرأيت العجب العجائب».
- كتاب: «المحاضرات»، ويشتمل على إفادات ذات مواضيع مختلفة من مختلف الفنون.
- كتاب: «الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من معاني السنة وآي الفرقان».

- كتاب: «النظائر الفقهية».

- كتاب: «شرح التسهيل»، في النحو.
- كتاب: «شرح لغة قصائد المغربي الخطيب».
- كتاب: «حاشية على مختصر ابن الحاجب الفقهي».
- كتاب: «شرح جمل الخونجي»، في المنطق.
- كتاب: «اختصار المحصل».
- كتاب: «تكميل التعقيب على صاحب التهذيب»، وهو تذييل على كتاب عبد الحق: «تعقيب التهذيب».
- كتاب: «المحرك لدعاوي الشر من أبي عنان».
- كتاب: «نظم اللآلي في سلوك الأمالي»، وهو برنامج الذي ضمنه شيوخه الذين أخذ عنهم.

- كتاب: «بلوغ الآراب في لطائف العتاب»، وهو الكتاب الذي سنعرض له بالتوثيق والتحقيق في نسبته إلى المقرئ الجدد، مع الإشارة إلى ما احتواه الكتاب من فصول، والطريقة التي تم ترتيبه بها. هذا، وقد أورد بعض العلماء للمقرئ أبي عبد الله شعرا، وهو في مجمله يسير على أسلوب الفقهاء والقضاة وأرباب السلوك، ومن أطول قصائده «لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض»، وتقع في سبعة وسبعين بيتا ومائة. ومطلعها:

رَفَضْتُ الشَّوْىَ وَهُوَ الطَّهَارَةُ عِنْدَمِ
تَلَفَعْتُ فِي مِرْطِ الْهَوَى وَهُوَ زِينَتِي
ومن نظمه أيضا:

إِلَيْكَ بَسَطْتُ الْكَفَّ اسْتَزَلُّ الْفَضْلَا
وَمِنْكَ قَبَضْتُ الطَّرْفَ اسْتَشْعِرُ الدُّلَا
وَهَآنَا قَدْ قُمْتُ يَقْدُمُنِي الرَّجَا
وَيَحْجُمُ بِي الْخَوْفُ الَّذِي خَافَ الْعَقْلَا

ومن جيد نظمه:

وَجَدْتُ تُسَعِّرُهُ الضُّلُو
عُ وَمَا تُبْرِدُهُ الْمَدَامِعُ
هَمٌّ تُحَرِّكُهُ الصَّبَا
بَةُ وَالْمَهَابَةُ لَا تُطَاوِعُ
أَمَلٌ إِذَا وَصَلَ الرَّجَا
أَسْبَابُهُ فَاَلَمَوْتُ قَاطِعُ
بِاللَّهِ يَا هَذَا الْهَوَى
مَا أَنْتَ بِالْعُشَاقِ صَانِعُ

سيرته وثناء العلماء عليه: عدَّ أبو عبد الله المقرئ من أبرز الفقهاء الذين أنجبتهم المدرسة المالكية في القرن الثامن، وقد جمع من صفات الفضل والإمامة ما جعل كثيرا ممن ترجم له يصفه بأوصاف تدل على فضله وزهده وعلو كعبه في علوم شتى.

ومن هؤلاء المترجمين العلامة الونشريسي، فقد قال عنه: «القاضي الشهير الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن

محمد المقرئ التلمساني المولد والمنشأ،
الفاشي المسكن، كان رحمه الله تعالى
عالما عاملا، ظريفا نبها، ذكيا فهما،
متيقظا جزلا محصلا...».

وعرف به لسان الدين ابن الخطيب
في كتابه «الإحاطة» ووصفه بقوله:
«هذا الرجل مشار إليه بالعدوة الغربية
اجتهادا ودؤوبا وحفظا وعناية واطلاعا
ونقلا ونزاهة..»، ثم ذكر العلوم التي
برز فيها فقال فيه: «يقوم أتم القيام
على العربية والفقه والتفسير، ويحفظ
الحديث، ويتهجرجر بحفظ التاريخ والأخبار
والآداب، ويشارك مشاركة فاضلة في
الأصليين: الجدل والمنطق، ويكتب الشعر
مصيبا غرض الإجادة، ويتكلم في طريق
الصوفية كلام أرباب المقال، ويعتني
بالتدوين فيها...».

وقد ذكر ترجمته وعد مناقبه حفيده
أبو العباس أحمد في كتابه «نفح الطيب»،
ووصفه في مقدمة كتابه الآخر «أزهار

الرياض»، حينما رحل إلى فاس بقوله: «
فألقيت بها عصا التساير وقاها الله من
الآفات والأغاير، واقتفيت في ذلك سنن
بعض سلفي الأخيار، إذ كان أشهر
أسلافنا الشيخ الإمام صاحب التصانيف
الشهيرة التي اقتادت المحاسن بزم،
القاضي الأشهر العلامة الأظهر...».

وقد وصفه أبو الحسن بن عبد الله بن
الحسن النباهي المالقي الأندلسي (توفي
بعد 792 هـ) في كتابه: «المرقبة
العليا»، بقوله: «وكان هذا الفقيه رحمه
الله في غزارة الحفظ، وكثرة مادة العلم،
عبر من العبر، وآية من آيات الله الكبير،
قلما تقع مسألة إلا ويأتي بجميع ما
للناس فيها من الأقوال ويرجح ويعلل،
ويستدرك ويكمل؛ قاضيا ماضيا، عدلا
جذلا... وتوفي رحمه الله على إثر ذلك
وهو محمود السيرة، مشكور الطريقة».

ويقول عنه الخطيب ابن مرزوق:
«كان صاحبنا المقرئ معلوم القدر

مشهور الذكر بالخير.. وعوارفه معلومة عند الفقهاء ومشهورة بين الدهماء..».

وممن عده من أعلام الفقهاء، ووصفه بمجتهد المذهب، الشيخ أحمد بابا التنبكي في كتابه: «كفاية المحتاج»، ونقل ذلك عنه حفيده في نفحه. قال أحمد بابا: «الإمام العلامة النظار المحقق القدوة الحجة الجليل أحد مجتهدي المذهب وأكابر فحول المتأخرين الأثبات».

وقال عنه المجاري في «برنامج» حينما تكلم عن شيوخ الشاطبي صاحب «الموافقات»؛ ذكر منهم: «الشيخ القدوة الصوفي، نسيج وحده وفريد عصره، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ..».

ونختم بثناء النشر يسي عليه حيث قال:

إِذَا ذُكِرَتْ مَفَاخِرُ أَهْلِ فَاسٍ
ذَكَرْنَا مَنْ أَتَى مِنْ تَلَمَّسَانِ

وَقُلْنَا هَلْ رَأَيْتُمْ فِي قَضَاةٍ

شَبِيهًا لِلْفِيهِ الْعَدْلِ ثَانِي

إلى أن قال:

وَنَفْسُ الْعِلْمِ إِنْ شَانَتْ لِشَخْصٍ

فَمَا لِلْمَقْرِي فِي الْعِلْمِ شَانِي

وفاته: توفي المقرئ الجد سنة

759هـ، على ما ذكره أكثر المترجمين.

وما ذكره ابن مريم من أنه توفي سنة

795هـ — فبعيد جدا؛ إذ لم يذكر أحد

أن المقرئ عاش بعد عهد السلطان

أبي عنان المتوفى سنة 759هـ. ووافق

الأستاذ أبو القاسم سعد الله ما أرخه به

ابن مريم، فأثبت سنة 795هـ تاريخا

لوفاة المقرئ.

التحقيق في نسبة كتاب «بلوغ

الآراب في لطائف العتاب» إليه: لم

يرد ذكر كتاب: «بلوغ الآراب في

لطائف العتاب» منسوباً إلى المقرئ

الجد في كتب التراجم، سوى ما جاء في

ملف العدد

من المكتبة الوطنية بتونس تحت رقم 210، والأخرى في خزانة المؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب ورقمها 18434، وهي بالمكتبة نفسها. إضافة إلى بقية النسخ التي وقعت تحت أيدي باحثين آخرين، كالنسخة الأصلية الموجودة بجامعة الإمام محمد بن سعود تحت رقم 1639، ونسخة أخرى بشسرتيبي تحت رقم 3195، ونسخة مكتبة الإسكندرية، وعنهما مصورة بجامعة أم القرى تحت رقم 588، ونسخة دار الكتب الظاهرية تحت رقم 4437، وأخيرا نسخة توبانجن، وعنهما مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية تحت رقم 619.

وكلها، كما أشرت، أجمعت على نسبة الكتاب على صفحة العنوان إلى محمد بن أحمد المقرئ. وفي بداية جميعها أيضا ترد العبارة الآتية: «قال العبد الفقير إلى عفو ربه محمد بن أحمد المقرئ رحمه

«كشف الظنون»، حينما نسبه حاجي خليفة إلى الشيخ الإمام محمد بن أحمد المقرئ، ثم ذكر أنه يبدأ بقوله: «الحمد لله الذي ليس له أول...»، وأشار إلى أنه أورد فيه مؤلفه فصولا من النوادر والتواريخ.

ولم يورده لا ابن الخطيب، وهو أحد تلامذته، حينما ترجم لشيخه المقرئ في كتابه «الإحاطة»، ولا حتى حفيده، في كتبه كلها، وبخاصة «نفح الطيب» و«أزهار الرياض». وهذا ما يجعل الباحث المحقق للتراث أمام مسلك وعر يتطلب كثيرا من الأناة والتثبت، فعلم التحقيق كما يقال شيئا، ولكنه شاق أيضا.

وما زاد في صعوبة الأمر، هو وجود نسخ مخطوطة هنا وهناك، تشير عناوينها في الغالب إلى نسبة «بلوغ الآراب» إلى محمد بن أحمد المقرئ.

وقد اطلعت على نسختين: إحداهما

الله: هذا كتاب جمعته من جواهر كل كتاب، وسميته بلوغ الآراب في لطائف العتاب».

وبعد هذه المقدمة تتوالى فصول الكتاب كالآتي:

-الفصل الأول: في نجباء الأنبياء وحسن أجوبة الأذكياء.

-الفصل الثاني: في فعائل الأجواد من السلف وثقتهم بالله تعالى وحسن الخلق.

-الفصل الثالث: في اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف.

-الفصل الرابع: في الحلم وطلب ثمرته، والعفو وحسن عاقبته.

-الفصل الخامس: في التخلص من يد الملوك وذوي الأقدار بالبلاغة وحسن الاعتذار.

-الفصل السادس: في الوفود على الخلفاء وأهل الكرم والوفاء.

-الفصل السابع: في الحب وأسبابه

وما فعل بأهله ومن عني به.

-الفصل الثامن: في سرعة أجوبة الأذكياء وغنائهم بالفضلاء.

-الفصل التاسع: في العجائب والطرف والهدايا والتحف.

-الفصل العاشر: في أخبار ساقها التصنيف ونوادير جرها التأليف.

-الفصل الحادي عشر: في أخبار الصالحين وذكر المتقين.

وتمضي فصول الكتاب حتى الفصل الحادي عشر: في أخبار الصالحين وذكر

المتقين. وفي بداية هذا الفصل يظهر الدليل واضحا لا لبس فيه. فالمؤلف

محمد بن أحمد المقري يقول فيه: «لما نسخت هذا الكتاب لم أجد فيه اسم

مؤلفه وكان عشرة أبواب، فأحببت أن يكون أحد عشر بابا، فختمته بهذا

الفصل فيه أخبار الصالحين من السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين..»، ثم

يوصل ليقول: «وكنت عزمت أن أضع

لطائف العتاب»، وفيه دليل قاطع أيضا على أنه هو نفسه كتاب بلوغ الآراب، إذ في بداية الفصل الحادي عشر في أخبار الصالحين ترد عبارة: «لما نسخت هذا الكتاب لم أجد فيه اسم مؤلفه... إلخ». وبهذا يتضح أن المختار من نوادر الأخبار هو نفسه بلوغ الآراب، وتعدد عناوين المؤلف الواحد قد حدث كثيرا مثل هذا في تراث الأقدمين.

هذا، وقد نسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله في «تاريخ الجزائر» كتاب: «بلوغ الآراب في لطائف العتاب» إلى المقري الجد، وذكر أنه لا يزال مخطوطا.

غير أن الصواب في كل ذلك أن المقري الجد لم يؤلف في «بلوغ الآراب» سوى المقدمة والفصل الحادي عشر.

بعض ما جاء في الجزء الذي ألفه المقري من كتاب «بلوغ الآراب في لطائف العتاب»: بدأ الشيخ أبو عبد الله

كتابا يقال له بلوغ الآراب في لطائف العتاب، وشرعت في طلبه فلما وقع لي هذا الكتاب وأضفت إليه الكراريس المكتبة من الكتاب المذكور وختمت بها هذا الكتاب.

إذن فالكتاب وقع في يد محمد بن أحمد المقري غفلا من مؤلفه، فأعجب به، وكان قد شرع في تأليف كتاب بلوغ الآراب، فأضاف مقدمة الكتاب التي بدأها بذكر آدم عليه السلام، وختم الفصول العشرة، التي لغيره، بفصل حادي عشر في أخبار الصالحين وذكر المتقين.

ويذكر الدكتور عبد الرزاق حسين أنه وقع تحت يديه مخطوط منسوب إلى المقري أيضا، غير أن عنوانه: «المختار من نوادر الأخبار»، ولما تفحصه وجده مطابقا في المقدمة وعدد الفصول وعناوينها لكتاب: «بلوغ الآراب في

وذكر إثر ذلك، بأسلوب أدبي مميز وبمسحة صوفية ظاهرة، حوار الله عز وجل مع أمين وحيه جبريل، فقال: «لما أراد الله عز وجل إظهار هذا الدر قال لجبريل: يا أمين الوحي، يا طائر القدس، يا سفير الرسل، يا عنقاء الوحي على قاف القرب، يا هزار الفضل على فنن الوصل... انزل إلى الخطة الغبراء، اهبط إلى هذه النقطة السوداء... خذ من ترابها أحمرها وأصفرها وأسودها وأخضرها... غربله بغربال الإنسان، رش عليه ماء ورد الآمال، حمّره بيد القدرة، ثم غطه بغطاء الإرادة... فإذا بلغ عجين أعجوبة قدرتي حد البلوغ، ظهر في إنسان له لسان، {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} (الرحمن 1) ينطق ببيان.

ثم انتقل إلى الكلام حول قصة آدم وإبليس، لما أبي هذا اللعين من السجود لآدم، فقال المقري فيه: «فلم يزل إبليس

المقري تأليفه بمقدمة قال فيها: «الحمد لله الذي ليس له أول يديه، ولا آخر يخفيه، الواحد الذي جل عن التعليل والتشبيه، وتعالى عن النظير والشبيه... أحمدته على ما يوليه، وأشكره على ما يعطيه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، باسط الشرع وداعيه،... اللهم صلّ على سيدنا محمد وخلفائه الراشدين من بعده...».

ثم قال: «قال العبد الفقير إلى الله محمد بن أحمد المقري: هذا كتاب جمعته من جواهر كل كتاب، وسميته: بلوغ الآراب في لطائف العتاب، يشتمل على ذكر من كشف لهم الحجاب والله الملمهم في ذلك للصواب والمعين على طلب الثواب.»

ثم استهل رحمه الله كتابه بالحديث عن أينما آدم عليه السلام، مفتتحا بقول الله عز وجل: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة 29).

فبدأه المقرئ هكذا: «قال العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد المقرئ رحمه الله: لما وقع لي هذا الكتاب وجدته عشرة فصول، فأحببت أن أختتمه بحكايات الصالحين والسلف الماضين رحمة الله عليهم أجمعين».

وجعل يسرد أخبار ونوادر بعض الصالحين، وأرباب الطريقة السالكين، ومنهم أبو يزيد البسطامي، وذو النون المصري، وإبراهيم الخواص، وأبو عبد الله التستري...

ملاحظة:

الموضوع موثق وله مراجع.

يتخيل بمكره ودواهيته إلى أن جرى ما جرى، فلما مال آدم إلى الأغيار، أخرج من الدار، وأبعد عن الجوار،... ونودي: يا آدم بجلتلك وأكرمتك، وبحوى زوجتك، صدقت إبليس في القسم وهو كذوب متهم...».

وهكذا واصل المقرئ سرد ما وقع بينهما، بأسلوبه ذاك، مصورا الحوار تصويرا جميلا، غاية في السبك والترتيب، مستدلا بآيات مقتبسة من القرآن الكريم، وبيعض ما ورد من الأمثال العربية والحكم الصوفية.

وبعد هذا أورد الفصل الحادي عشر، وجعله في «أخبار الصالحين وذكر المتقين رضي الله عنهم».

